كتاب التواريخ
لباولوس أوروسيوس وترجمته الأندلسية

د. عبادة عبد الرحمن كحيلة
مدرس التاريخ الاسلامى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

من الأمور التى استرعت أنظار الباحثين — شرقيين وغربيين — فى السنوات الأخيرة ، ما تميزت به الأندلس من خصوصية معينة ، داخل الاطار العام للحضارة الاسلامية . فقد افترق مسار هذه الحضارة فى الأندلس عن مسارها فى اقطار اسلامية أخرى غير الأندلس[1] .

ولا شك أن التراث الثقفى الذى وقف عليه المسلمون بعد قدومهم الى شبه الجزيرة ، قد لعب دورا وافرا فى طبع الحضارة الاسلامية بطابع خاص ، من مظاهره أن دخلت اللغة العربية — والعامية الأندلسية — بعض الألفاظ اللاتينية (أو الرومانثية)[2] كما دخلت الشعر العربى

---

(١) راجع فى هذا الشأن الباب التمهيدى من أطروحتنا لدرجة الماجستير ، المولدون فى التاريخ الاندلسى منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر الامارة (غير منشورة) جامعة القاهرة ، كلية الآداب ١٩٧٨ ص ٢١ — ٤٧ ، أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الأندلس ، أثر البيئة الأوربية . عالم الفكر م ١٠ ع ٢ ، ١٩٧٩ ص ٣٤٣ — ٣٩٤ .

(٢) توجد تفصيلات عديدة عن هذا التأثير فى :

Dozy , R; Supplément aux dictionnaires Arabes. Deuxiéme Edition. E. J. Brill 1927, Simonet, Francisco Javier : Glosario de voces Ibéricas y latinas usadas entre los Mozàrabes. Madrid, establecimiento tipogràfico de fortanet, 1888.

بعض التأثيرات المسيحية والأيبيرية القديمة ، نقف على نماذج منها فى شعر ابن دراج (ت ٤٢١ هـ) وابن شـهيد (ت ٤٢٦) وابن زيدون (ت ٤٦٣) ، كما نقف عليها أيضا فى شعر الموشحات والأزجال •

ننتقل الآن الى موضوع هذا البحث ، وهو كتاب التواريخ لباولوس أوروسيوس وترجمته الأندلسية •

(1)

فى مطلع القرن الخامس الميلادى كانت خيل الجرمان تدك أركان الامبراطورية الرومانية فى الغرب ، وفى سنة ٤١٠ م اقتحم القوط يقودهم ألارك Alaricus قصبة هذه الامبراطورية ، ومع أنهم فارقوها بعد قليل ، بل صاروا حلفاء للرومان ومعاهدين Foederati ، الا أن ما أقدموا عليه من تخريب لروما ، كان له أثره الفادح عند المعاصرين ، فلم يكن يتصـور أحـد مصيرا مثـل ذلك لمدينـة رومولوس وقيصر واغسطس وقسطنطين •

انصرف عدد من الوثنيين — وكانوا غالب سكان الامبراطورية — فنسبوا الى المسيحية مسئوليتها عما جرى من نكبات لهذه الامبراطورية فى عهدها الأخير[٣] مما آثـار حفيظة أحد أحبار الكنيسـة ورجالها المرموقين ، وهو القديس أوغسطين Augustinus [٤] فوضع كتـابه

---

(٣) استمر هذا الاعتقاد فترة طويلة ، وكان منطلقا لادورد جبـون E. Gibbon فى كتابه الشهير عن اضمـحلال الامبراطورية الرومانيـة وسقوطها Decline and fall of the Roman Empire

(٤) عرف عند أهل الاندلس باغشتين وأقشتين ، وذاعت كتبه عندهم، وترجم بعضها الى العربية ، وفى النص اللاتينى للتقويم القرطبى ، كان النصارى يحتفلون بعيده فى ٢٨ أغسطس . انظر :

Le calendrier de cordue, Publice par Dozy, Leyde 1874. p. 82.

ويلقبه الامام القرطبى — صاحب التفسير — بزعيم القسيسين ويقول « ان النصارى معولون على معرفته مقلدون له فى قومته وقعدته » الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام . تحقيق أحمد حجازى السـقا . القاهرة ، دار التراث العربى ١٩٨٠ ج ١ ص ١٤٣ .

« مدينة الله » De Civitate Dei حوالى سنة ٤١٥ (أو ٤١٦ م) يفند فيه هذا الزعم • وحين وفد عليـــه فى مستقره بتونس قسيس اسبانى يدعى أروسيوس Paulus Orosius عهد اليه استاذه بوضع كتاب فى التاريخ ، يوضح فيه ما صادفه الانسان من نكبات على مر العصور ومن أحداث جسام ، لا شأن للمسيحية بها ، انما هى نشأت لأسباب خارجة عنها •

دعى الكتاب الذى ألفه أوروسيوس[٥] « بكتب التواريخ السبعة فى الرد على الوثنيين«Historiarum adversum paganos libri septem» تناول فيه تاريخ الانسانية منذ آدم عليه السلام حتى سنة ٤١٦ م ، وهى السنة التى التقى فيها بأستاذه •

يســـتمد كتاب اوروسيوس أهميتـــه من كونه مصـــدرا لتاريخ الامبراطورية الرومانية فى مرحلتها المتأخرة ، شأنه فى ذلك شأن كتب يوسبيوس[٦] Eusebius (ت ٣٤٠ م) وايرونيموس[٧] Hieronymus وهو القديس جيروم (ت ٤٢٠ هـ) ويوتروبيوس Eutropius (ت حوالى ٣٧٠ م) ، كما يستمد أهميته أيضا من النقول التى وردت فيـــه عن مؤرخين ضاعت كتبهم بعـــد ، ولا أدل على أهمية كتـــاب أوروسيوس ، من أن وصلتنا نحو مائتى نسخة منه •

---

(٥) توجـــد ترجمـــة مختصرة له فى معجم اكســـفورد الكلاســـيكى Oxford classicil Dicitionary. 1949 p. 627 ولا نقف على ترجمة له فى معجم التاريخ الاسبانى

Diccionario de Historia de España. Revista ds Occidente, Madrid 1952.

(٦) عرف عند العرب باوسابيوس القيسرانى •

(٧) عرف عند العرب بيرونم الترجمان •

نشرت تواريخ أوروسيوس فى عصرنا الحديث عـــدة مرات ؛ والنشرة النقــدية المعتمــدة هى التى قــام عليهــا تسانجما يســتر Carl Zangemeister فى سنة ١٨٨٢ ، ضمن مجموعة Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum v. V وترجمه الى الانجليزية I. W. Raymond ونشرته جامعة كولومبيا فى سنة ١٩٣٦ .

(2)

بلغت الحضارة الاسلامية فى الأندلس أوجها فى القرنين الرابــع والخامس الهجريين ؛ أى فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف ؛ والى جانب ما أبدعه الأندلسيون فى مجالات شتى ، فقد تمت ترجمة كتاب أوروسيوس الى اللغة العربية ونقل عنه عدد من مؤرخى الأندلس وجغرافييه ؛ ومنهم ابن جلجل (ت بعد ٣٨٤ هـ) والبكرى (ت ٤٧٨ هـ) والحميرى (ت أواخر القرن الثامن هـ) وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ؛ بل نقل عنه أيضا مؤرخ مسلم غير اندلسى هو المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) .

والمشاهد أن شهرة أوروسيوس عند المسلمين ، جعلت بعضــهم ينقلون أخبارا عن غيره من المؤرخين القدامى ؛ ثم يضيفون هذه الأخبار اليــه[٨] .

ورغما عن شهرة أوروسيوس هذه ، فلم يصل الينا من ترجمتــه العربية سوى نسخة واحدة محفوظة فى مكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك

(٨) راجع المقارنات التى عقدها الاستاذ عبد الرحمن بدوى بين كتاب اوروسيوس وبين كتب المسلمين الذين أخذوا عنه وبخاصة ابن خلدون . فى مقدمة تحقيقه للكتاب . بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٢١ — ٤٧ .

تحت رقم X. 893. 712. H. قام على نشرها فى سنة ١٩٨٢ الأستاذ عبد الرحمن بدوى(٩) .

بمراجعة هذه النشرة نجدها تفترق عن الأصل اللاتينى ، باختصارها فى بعض المواضع أو حذف فقرات كاملة ، أو اضافة أخبار من مصادر أخرى ، لا يشير المترجم اليها ، وتبلغ فى جملتها نحو ثلث حجم الكتاب. والأهم من ذلك أن المترجم أكمل تاريخ أوروســيوس حتى قبيل مقدم العرب(١٠) ، وان فقدت هذه التكملة ، بل فقد جزء من النص الأصلى ، لأن النسخة التى لدينا تقف عند سنة ٣٧٨ م(١١) .

وقد بدأ الطابع الأندلسى واضحا على هذه الترجمة ، فعرب اســم أوروسيوس الى هروشيوش (وهروشيش)(١٢) ، كما يبدأ الكتــاب بالبسملة(١٣) ، وتختتم أجزاؤه بحمد الله تعالى وطلب الرحمة لمؤلفه .

---

(٩) وهو تحقيق جيد بذل صاحبه فى سبيله جهدا فائقا ، وعاود النص الأصلى ، لكن تنقصه بعض الشروح ، كما تنقصه أيضا كشــافات تعين الباحثين .

(١٠) ورد فى أول الجزء السابع من الترجمة العربية ما يأتى « الجزء السابع فيه أخبار املاك (ملوك) الرومانيين القياصرة ، من زمان قيصر اكتيبان (يقصد اكتافيانوس) الذى فى دولته ولد المسيح الى الزمان الذى كتب فيه هذا الكتاب ، وما أضيف اليه من بعد من دول القوط بالأندلس ، الى دخول طارق عليهم أبوابه أربعة عشر » .

(١١) وهى السنة التى قتل فيها الامبراطور والنس Valens على أيدى القوط .

(١٢) كما عرب اسمه أيضا الى اهروشيوش، هروشيوس، هروسيس أوروشيوش ، أروشيوش ، وغير ذلك ، ويلاحظ ابدال السين شينا على عادة الأندلسيين .

(١٣) ص ٥٣ .

ويرد تعبير جوف[١٤] بمعنى شمال ، وقبلة[١٥] بمعنى جنوب ، وفحوص[١٦] بمعنى سهول ، وسلاطين[١٧] بمعنى ملوك Reges ومجوس[١٨] بمعنى وثنيين Pagani ومصحف[١٩] بمعنى سفر أو كتاب دينى . بل ترد أبيات شعرية فى صياغة عربية ، تعليقا على ما ورد بشأن صلب المسيح عليه السلام[٢٠] ، وليس لهذه الأبيات أصل فى النص اللاتينى . ويذكر من نسل سام بعض من ليس لهم ذكر فى سفر التكوين ، مثل قحطان وعرب اليمن[٢١] ، ويمسك فى الوقت نفسه عن تعيين الذبيح ، ويدعو ابراهيم عليه السلام بالخليل[٢٢] .

الطريف أيضا أنه يعرب كمبانيا Campania فى ايطاليا بالقنبانية[٢٣] وهو الاسم الذى كان يطلق على كورة قرطبة[٢٤] ، كما يعرب بلاد ما بين النهرين Mesopotamia بالكوفة[٢٥] . ويدعو الضرائب الغير الشرعية التى منعها الامبراطور أنطونينوس بيوس Antoninus pius بالمغارم والوظائف[٢٦] ، بل يدعو رجال الجيش Militaria بأهل الديوان[٢٧] ، والمناصب الحكومية بالخطط[٢٨] ،

---

(١٤) ص ٥٨ .

(١٥) ص ٦٠ .

(١٦) ص ٦١ .

(١٧) ص ١٦٧ .

(١٨) ص ٤٢٢ .

(١٩) ص ٢٧٩ .

(٢٠) ص ٤٢١ .

(٢١) ص ٨٧ .

(٢٢) ص ٩١ .

(٢٣) ص ٢٦٠ .

(٢٤) Campiña وقد أبدل الأندلسيون كعادتهم الميم نونا .

(٢٥) ص ٤٣٧ .

(٢٦) ص ٤٣٨ .

(٢٧) ص ٤٤٧ .

(٢٨) ص ٤٦٢ وقد جرت عادة الأندلسيين على أن يقولوا خطة الوزارة ، خطة القيادة ، خطة البريد ، خطة الخيل ، خطة الرد ، الى غير ذلك .

ونقيب العامة Tribunus plebi بصاحب خــراج الرومانيين[٢٩] ويستخدم تعبير اطباء[٣٠] ، ويدصد به استمالة . ويصل به الأمر الى حد الخطأ فيعرب الكلدانيين Chaldaei بالقضاعيين[٣١] .

(3)

ننتقل الآن الى قضية القضــايا ، وهى متى تمت ترجمة كتــاب أوروسيوس ؟ ومن الذى قام على هذه الترجمة ؟

فى سنة ١٩٤٨/٣٣٧ — ٩٤٩ (أو ٩٤٧/٣٣٦ — ٩٤٨)[٣٢] أرسل ملك الروم ويدعوه ابن جلجل[٣٣] بارمانيوس[٣٤] — الى عبد الرحــمن

---

(٢٩) ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

(٣٠) ص ٤٥١ ، ويرد تعبير اطباء اليمن على لســان أبى عثمــان عبيد الله بن عثمان مولى بنى أمية ، فى حديثه عن دخول عبد الرحمن بن معاوية فى سنة ٧٥٩/١٣٨ فيقول : « فانقطع رجاؤنا من مضر وربيعــة بأسرها ، ورجع رأينا الى اطباء اليمن وادخالهم فى رأينا » أخبار مجموعة فى فتح الأندلس . نشر لافوينتى ائى الكانترا ، مدريد ١٨٦٧ ص ٧٤ .

(٣١) ص ١٦٨ .

(٣٢) ابن خلدون : العبر . القاهرة ، بولاق ، المطبعة الكبرى ١٢٨٤هـ جـ ٤ ص ١٤٣ .

(٣٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء . تحقيق نزار رضا . بيروت . مكتبة الحياة ١٩٦٥ ص ٤٩٤ .

(٣٤) يقصد رومانوس الأول ليكابينوس Romanus Lecapenus ٩٢٠ — ٩٤٤ وهو خطأ لأن الامبراطور المعاصر لارســال الكتابين هــو قسطنطين السابع : بورفيروجنيتوس Constantinus Porphyrogenitus ٩١٣ — ٩٥٩ ، وكان زوجا لابنــة رومانوس ، والامبراطــور الشرعى ، لكن رومانوس استبد دونه بالسلطة وقاسمه لقبه من سنة ٩٢٠ الى ســنة ٩٤٤ . وربما دفع ابن جلجل الى هذا الخلط شهرة رومانوس ، وما أحرزه من أمجاد على المستوى الثقافى بتصنيفه عدة كتب ، وبخاصة فى التاريخ ، ونهوضه بالحركة العلمية فى عصره . راجع :

Ostrogorsky; George : History of the Byzantine State trans by Joan Hussey. Rugers University Press, 1957. pp. 234-248.

الناصر ٣٠٠/٩١٢ — ٣٥٠/٩٦١ بكتاب الحشائش[٣٥] لديسقوريدس Dioscurides ومعه كتاب هروشيوش • ولما لم يكن فى الأندلس من يحسن اليونانية ، استجاب الملك لطلب الخليفة وبعث بنقولا الراهب الذى قام بالعبء الرئيسى فى ترجمة كتاب ديسقوريدس واعانه نفر من المسلمين ، أحدهم على دراية باليونانية ، وأضحت هذه الترجمة معتمد الأندلسيين ، وحلت محل ترجمة مشرقية ، تنسب الى اصطفن ابن بسيل ، راجعها حنين بن اسحق •

لا يهمنا فى هذا المقام كتاب ديسقوريدس ، انما يهمنا كتاب هروشيوش ، ويورد ابن جلجل على لسان ملك الروم « وأما كتاب هروشيش ، فعندك فى بلدك من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطينى ، وان كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطينى الى اللسان العربى » •

مفهوم رواية ابن جلجل ان كتاب هروشيوش ، ترجم فى فترة ما بعد وصوله الى الأندلس واستفاد منه ابن جلجل نفسه ، لكنه لا يصرح بشخصية المترجم • وقد وصلتنا هذه الترجمة وكان قمينا بها أن تحل المشكلة ، لولا أن صفحة العنوان منزوعة منها ، كما ان الصفحات الأخيرة منزوعة أيضا ، وربما ورد فى حردة المتن ما يشفينا •

نمضى بالبحث خطوة أخرى فيجبهنا نصان لابن خلدون •

فى معرض حديثه عن بنى اسرائيل وتاريخهم ، يشير ابن خلدون[٣٦] الى مصادره كالطبرى والمسعودى وصاحب حماة (يقصد أبا الفدا) « وما نقله أيضا هروشيوش مؤرخ الروم فى كتابه الذى ترجمه للحكم المستنصر من بنى أمية قاضى النصارى وترجماتهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ » وبعد عديد من الصفحات يقول[٣٧] « وخبر

---

(٣٥) أو الأدوية المفردة Materia Médica .
(٣٦) المصدر نفسه ص ٨٨ .
(٣٧) ص ١٩٧ .

هروشيوش مقدم ، لأن واضعيه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الاسلام بقرطبة ، وهما معروفان ووضعا الكتب » .

نخرج من نصى ابن خلدون بمعلومات ثلاث ، فالترجمة تمت بتوجيه من الحكم المستنصر ٣٥٠/٩٦١ — ٣٦٦/٩٧٦ ، وقام عليها اثنان من المسلمين ، شغل أحدهما منصب قاضى النصارى ، أما الآخر فهو قاسم بن أصبغ .

أما عن المعلومة الأولى ، فيغلب انها صحيحة ، لما عرف عن الحكم — أغسطس الأندلس — من حب للكتب وشغف بجمعها ، وتشجيع على تصنيفها ، ومشاركته نفسه فى ذلك .

يقول ابن حيان[٣٨] — مؤرخ الأندلس الكبير (ت ٤٦٩ هـ) « ولم يسمع فى الاسلام بخليفة ، بلغ مبلغ الحكم فى اقتناء الكتب والدواوين ، وايثارها والتهمم بها . أفاء على العلم ، ونوه بأهله ، ورغب الناس فى طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته الى فقهاء الأمصار النائية عنه » .

المعلومة الثانية ، وهى أن أحد المترجمين كان مسلما ، يشغل منصب قاضى النصارى لا نستطيع أن نتقبلها كما هى ، فلم تجر العادة فى الأندلس على ذلك ، لأن النصارى كان لهم قاضيهم الخاص بهم من أهل دينهم ، ويدعى قاضى النصارى أو قاضى العجم ، وعرف فى اللاتينية باسم Censor أو Judex[٣٩] وصار فى القشتالية

---

(٣٨) ابن الابار : الحلة السيراء . تحقيق حسين مؤنس . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ جـ ١ ص ٢٠١ .

(39) Lévi-Provençal, E : Histoire de l'Espagne Musulmane, Leide Brill, 1950. vol III. p. 219.

Alcalde (٤٠) ، وكان تعيينه وعزله من شأن الخليفة ، لكنه يحـكم بين قومه بما جـاء فى كتـاب القـوانين Liber judiciorum الذى عرف فيما بعد بـ Furero Juzgo (٤١) • وقد عرف ابن حـزم (ت ٤٥٦ هـ) هذا الكتاب وأشار اليه فى الفصل ، ويتحدث عن أحـد هؤلاء القضاة — وقد عاصره — وكان يتكرر عليه بمجلسه ، وعارضـه مرة فى بعض ما ورد فى القرآن الكريم عن أهل الجنة وفند ابن حـزم زعمه بنص الانجيل نفسه(٤٢) •

ولا يتناقض اختصاص النصارى بقاض من أهل دينهم مع سماح الدولة لهم بأن يتقاضوا اذا هم شاءوا الى قاضى المسلمين ، بل والزامهم بذلك اذا كان أحـد طرفى الخصومة مسلما ، أو كان الأمـر يتصـل بحد أو قصاص أو تعزير(٤٣) •

---

(40) Simonet : Historia de 'os Mozarabes de España. Madrid, Est Tip de la viude è Hijos de m Tello 1897-1903 p. 108.

(41) Lèvi-Provençal : l'Espagne Musulmane au xème siécle. Paris Larose, 1932. p. 37.

وقد وضع الارك الثانى نواة هـذا الكتاب فى سـنة ٥٠٦ باسـم lex Romana ودعى فيما بعد بمختصر الارك Breviarium Alarici وبعد عدة ذيول وشروح دعى بكتاب القوانين واشـتهر بقانون ركسفنت lex Romana Reccesvindiana

راجع :

O'callaghan, J. F. A history of medieval Spain Cornell univ. Press, 1975, p. 40, Cambridge medieval history. 1936 vol. II p. 178.

(٤٢) القاهرة ، الخانجى ، ١٣٢٠ هـ ج ٢ ص ١٠٨ — ١٠٩ ، وانظر أيضا ج ٢ ص ٣ ، المحلى . تحقيق أحمد محمد شاكر . القـاهرة ، ادارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ ج ٩ ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .

(٤٣) راجع فى هذا الشأن وثائق فى أحكام أهل الذمـة فى الاندلس مستخرجة من الأحكام الكبـرى لابن سـهل (ت ٤٨٦ هـ) تحقيق محمـد عبد الوهاب خلاف . القاهرة المركز العربى الدولى للاعلام ١٩٨٠ . والمعيار المغرب للونشريشى (ت ٩١٤ هـ) مخطوط بدار الكتب رقم ٩٠ فقه مالك م ١ ورقة ١٧٣ أ ، ب ١٧٤ أ.م ٥ ورقة ٢٠٨ أ وانظر اطروحتنا لدرجة الدكتوراه « المعاهدون فى الاندلس » جامعة القاهرة ١٩٨٣ ص ١٤٤ — ١٤٦ .

ترفض اذن المعلومة الثانية ، وننتقل الى المعلومة الثالثة وهى الخاصة بالمترجم الآخر قاسم بن أصبغ ، ونراجع أقدم كتب التراجم العامة بالأندلس ، وأشهرها جميعا وهو تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) ٠

لدينا ثلاثة من الأندلسيين عاشوا فى القرن الرابع الهجرى ، ودعوا بالاسم نفسه أو لهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح ابن عطاء البيانى(٤٤) ، مولى الوليد بن عبد الملك ، وقد ولد فى سنة ٨٥٩/٢٤٤ ومات فى سنة ٩٥١/٣٤٠ ٠ سمع بقرطبة من بقى بن مخلد وأبى عبد الله الخشنى وابن وضاح وأصبغ بن خليل وغيرهم ، ورحل الى المشرق ، فسمع بمكة والكوفة وبغداد ومصر والقيروان ٠ وكان من جملة رجاله الترمذى وابن أبى خيثمة وعبد الله ين أحمد بن حنبل وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ومحمد بن يزيد المبرد وأحمد بن يحيى ابن يزيد ثعلب ، وبعد عودته الى الأندلس ، سمع منه الخليفة عبد الرحمن الناصر وولده الحكم ٠

يستطرد ابن الفرضى فيقول « وطال عمره فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث ، وألحق الصغار والكبار فى الأخذ عنه ، وكانت الرحلة فى الأندلس اليه ، وفى المشرق الى أبى سعيد بن الاعرابى ، وكانا متكافئين فى السن » ٠

« وكان قاسم بن أصبغ بصيرا بالحديث والرجال ، نبيلاً فى النحو والغريب والشعر ، وكان يشاور فى الأحكام » ٠

الثانى هو قاسم بن أصبغ بن أبى الأسود بن عبد الواحد من أهل باجة « وكان من أهل الرواية والحديث ، وكان أديبا بليغ اللسان جيد القلم ٠٠٠ »(٤٥) ٠

---

(٤٤) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ جـ ١ ص ٣٦٤ — ٣٦٧ تر ١٠٧٠ ٠
(٤٥) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٦٧ تر ١٠٧١ ٠

الثالث حفيد للأول وهو قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيانى (ت ٣٨٨/٩٩٨) « روى عن جده قاسم بن أصبغ ، وكان أديبا حسن الخلق حليما استقضاه الحكم أمير المؤمنين رحمه الله على كورة تدمير ، واستقضاه المؤيد بالله أمير المؤمنين أعزه الله على مدينة الفرج ، وقد سمع منه جماعة من الناس ، وكتبت أنا عنه قديما وأجاز لى جميع ما رواه عن جده »[٤٦].

نستبعد مبدئيا قاسما الثانى ، فترجمته عند ابن الفرضى عامة وقصيرة ، ولا يهتم بذكر شيوخه ولا تلاميذه ، ولا كتب صنفها ، كما لا يهتم أيضا بتحديد سنة وفاته ونستبعد أيضا قاسما الثالث ، فترجمته قصيرة ، ولا يذكر من شيوخه غير جده ، أما تلاميذه ، فجماعة من الناس دون تحديد ، ورغما عن أن ابن الفرضى سمع منه وأجازه ، فانه لا يشير الى كتب صنفها ، ناهيك عن كتاب ترجمه أو شارك فى ترجمته .

المرشح الوحيد ليكون مشاركا فى ترجمة كتاب أوروسيوس أو مراجعته هو قاسم الأول ولنا عليه عدة ملاحظات .

١ ـ لم يرد فى أى من كتب التراجم الأندلسية[٤٧] وغير الأندلسية ذكر لدور قام به فى ترجمة كتاب هروشيوش ، وكان قمينا بهذه الكتب أن تنوه به ، لما كان لقاسم من شهرة فائقة فى عصره وما تلاه من عصور[٤٨] .

(٤٦) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٧٠ تر ١٠٧٩ .

(٤٧) مثل الحميدى : جذوة المقتبس القاهرة ١٩٦٦ . ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ تر ٧٦٩ ، الضبى : بغية الملتمس . القاهرة ١٩٦٦ . ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ تر ١٢٩٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب . القاهرة ١٩٧٢ جـ ٢ ص ١٤٦ ، المقر : نفح الطيب . تحقيق احسان عباس . بيروت ١٩٦٨ جـ ٢ ص ٤٧ ـ ٤٩ تر ١٤ ، السيوطى :بغية الوعاة . القاهرة ١٩٦٤ جـ ٢ ص ١٣١ .

(٤٨) خصوصا وان هذه الكتب تتحدث عن درايته الواسعة بعلم التاريخ . يقول ابن الفرضى « وانصرف قاسم بن أصبغ الى الاندلس بعلم كثير ، ومال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة ، وكانت الموردة عليه فى هذه الكتب دون صاحبيه محمد بن أيمن وابن ابى الأعلى » .

٢ ــ بل ان ابن حزم[٤٩] ــ وهو العالم الكبير الواسع الثقافة الملم بتراث اسبانيا القديم وتراث المسيحية ــ لا يشــير الى ذلك ، عندما تعرض لفضائل قومه ومآثرهم فى رسالته المشهورة .

٣ ــ لا يرد فى كتب التراجم الأندلسية حديث عن معرفة قاسم باللغة اللاتينية من قريب ولا من بعيد ، وكان جديرا بها هذا الحديث ، لأنها أوردت أخبارا عن معرفة غيره من علماء الأندلس بها[٥٠] .

٤ ــ والأهم من ذلك أن قاسما مات فى سنة ٣٤٠ هـ عن سن عالية (٩٦ سنة) .

ويعلق ابن الفرضى الذى عاش فى مرحلة قريبة منه « وكان متمتعا بذهنه لا ينكر عليه شىء الا النسيان خاصة ، الى ذى الحجة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (٩٤٩ م) ومن هذا التاريخ تغير وحال ذهنه الى أن مات » .

معنى ذلك أن قاسم بن أصبغ ضعف نشاطه الى حد كبير قبيــل ورود كتاب أوروسيوس ، الى الأندلس ، ثم توقف هذا النشاط تماما لدى وروده .

لم تحل المشكلة اذن . ونعاود قراءة نصى ابن خلدون ، ونحاول أن نعرض لآراء من سبقنا اليهما .

---

(٤٩) رسالته فى تفصيل الأندلس ، وأوورد نصها المقرى فى نفحه جـ ٣ وورد ذكر قاسم بها ص ١٦٩ ، ١٧٤ .

(٥٠) مثل القاضى سليمان بن أسود الذى ولى قضاء الأندلس مرتين فى عهد الأمير محمد ٢٣٨/٨٥٢ ــ ٢٧٣/٨٨٦ . الخشنى : قضاة قرطبة . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ص ٨٠ . كما كان الأمير عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦/٨٢٢ ــ ٢٣٨/٨٥٢ يعرفها أيضا . الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين . القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٨٧ .

(4)

يعد المستشرق الايطالى ليفى ديلا فيدا Georgio levi della vida أول من تناول هذه المشكلة فى عام ١٩٥١[٥١] ، ثم عاد وتناولها مع قدر من التفصيل فى عام ١٩٥٤[٥٢] ويلاحظ أنه :

١ — اذا كان خبر ارسال كتاب ديسقوريدس الى الأندلس ممكنا ، فان خبر ارسال كتاب اوروسيوس بعيد ، لأنه من المستبعد وجـــود مخطوطات لاتينية فى الدولة البيزنطية فى القرن العاشر •

٢ — يصعب أن يقوم قاسم بن أصبغ بدور فى نقل كتـــاب أوروسيوس الى العربية بعد سنة ٣٣٧ هـ ، بسبب تغير ذهنه ، ولـذا يرجح أن هذه الترجمة ، تمت فى فترة مبكرة قبل ورود الكتــاب الى الأندلس — اذا كان قد ورد — ومن نسخة كانت موجودة هناك •

٣ — تحدد عمل قاضى النصارى فى نقل الكتاب من اللاتينية الى العربية ، وتحدد عمل قاسم بن اصبغ فى الصياغة العربية •

---

(51) La tradizione araba della storia di orosio. miscellanea G. Galbiati, III milano. 1951. pp. 185-203.

(52) La Tradiz,ione araba della storia di orosio, Al-Andalus vol XIX, Fasc 2 pp. 257-265.

وقد تعرض لهاتين الدراستين فؤاد سيد فى مقدمة تحقيقه لكتـاب ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء . القاهرة ١٩٥٥ ص ل — لب ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغـرافيين فى الاندلس . مدريد ١٩٦٧ ص ٣٢ — ٣٩ ، عبد الرحمن بدوى فى مقدمة تحقيقه لكتاب اوروسيوس ص ١٧ — ٢٠ .

Van Koningsveld; p. Sj : Latih Arabic glossary of the Leiden university library leiden 1977 p. 56.

٤ — ويرجح أن قاضى النصارى هو حفص بن البر أو الوليد ابن خيزران (خيزون) ويدعوه ابن خلدون[٥٣] بالوليد بن مغيث ، والأخير كان معاصرا للحكم المستنصر .

يلاحظ أن ليفى ديلا فيدا فى سعيه للالتفاف حول نص ابن خلدون، ينحو نحوا توفيقيا ، لكننا لا نستطيع أن نتقبل رأيه كما هو ، ففيما عدا النقطة الأولى الخاصة بورود نسخة كتاب أوروسيوس أو عدم ورودها، فان ابن جلجل — وهو الكاتب المعاصر — الذى طالع النسخة العربية من الكتاب لا يشير الى ترجمة مبكرة له ، أما عن مشاركة عالم مسلم أندلسى فى هذه الترجمة ، فأمر لا نجد له مثيلا ، على الأقل خلال القرن الرابع الهجرى ، وبخصوص تحديد هوية قاضى النصارى ، فلا توجد نصوص قوية ، يستند اليها ليفى ديلا فيدا .. ولنا عود الى هاتين النقطتين .

وفى عام ١٩٥٥ نشر الاستاذ فؤاد سيد تحقيقا لكتاب ابن جلجل « طبقات الأطباء والحكماء » ، وقد قبل بمعظم ما جاء به ديلا فيدا ، لكنه يضيف أن الترجمة تمت فى سنة ٣٣٦ أو ٣٣٧ ، أى عقيب وصول الكتاب ، وقبل أن يتغير ذهن قاسم بن أصبغ مباشرة ، وقد سبق فى ذلك ترجمة كتاب ديسقوريدس التى تمت فى سنة ٣٤٠ هـ لأن اللاتينية كانت أيسر فى الترجمة من اليونانية لشيوعها عند أهل الأندلس[٥٤] .

على أن ما يذهب اليه فؤاد سيد لا يحل المشكلة ، لأنه حتى مع التسليم بأن الترجمة تمت عقيب وصول الكتاب مباشرة ، فان الضعف كان قد أصاب قاسم بن أصبغ الذى تجاوز فى ذلك الحين عتبة التسعين .

ووجد رأى ديلا فيدا التأييد نفسه من الاستاذ حسين مؤنس فى كتابه الذى أصدره فى سنة ١٩٦٧ بعنوان « تاريخ الجغرافية

---

(٥٣) المصدر نفسه ص ١٤٥ .
(٥٤) ص لب من المقدمة .

والجغرافيين فى الأندلس » ويضيف مؤنس معلومة جديدة ، وهى أن أحمد بن محمد الرازى المعروف بالتاريخى (ت ٣٤٤ هـ) وهو تلميذ لقاسم بن أصبغ أخذ جغرافيته عن هروشيوش ، مع قدر من التطوير يتلاءم مع الظروف التى جدت بمقدم المسلمين(٥٥) •

نرى من ناحيتنا أن الربط بين الرازى — عبر قاسم بن أصبغ — وبين أوروسيوس ليس له ما يبرره ، ونرجح أن معلومات الرازى الجغرافية منقولة من مصادر أخرى غير أروسيوس ، أو غير الترجمة الأندلسية له • ونفصل ذلك بعد •

أخيرا فان هؤلاء — ليفى ديلا فيدا ، فؤاد سيد ، حسين مؤنس — لم يعطونا رأيا محددا فى نص ابن خلدون القائل بأن مترجمى كتاب اروسيوس كانا من المسلمين •

فى عام ١٩٨٢ صدرت الترجمة العربية من كتاب أوروسيوس بعنوان « تاريخ العالم » ويرفض المحقق الفاضل الاستاذ عبد الرحمن بدوى(٥٦) نص ابن خلدون لأن قاضى النصارى ، لابد وأن يكون نصرانيا ، ويشير الى واحد من كبار النصارى المعاصرين وهو أصبغ ابن عبد الله بن نبيل الجاثليق ، وربما يكون ابن خلدون قدسها ، فكتب اسمه محرفا ، بسبب شهرة قاسم بن أصبغ وسرعة وروده على الذاكرة وينتهى باننا لانعرف حتى الآن من هو الذى ترجم كتاب اروسيوس الى العربية(٥٧) •

وثمة رأى جدير بالدراسة ، أتى به باحث هولندى هو فان

(٥٥) ص ٣٩ وما بعدها .
(٥٦) ص ١٠ — ١٥ من المقدمة .

(٥٧) يرى بدوى أيضا انه اذا كان ثمة قاسم بن اصبغ شارك فى الترجمة ، فهو قاسم الثالث (ص ١٣ من المقدمة) وهو رأى لا نوافقه عليه ، راجع ما سبق وذكرناه بخصوصه .

كوننجسفلد(٥٨) فى أطروحته لدرجة الدكتوراه من جامعة ليدن فى سنة ١٩٧٦ ، فيدعى ان الكتاب كله من ترجمة قاضى النصارى وحده ودليله •

١ — من الغريب أن يتحدث ابن خلدون عن مترجمين ، فيذكر مهنة أحدهما دون اسمه واسم الآخر دون مهنته •

٢ — ابن جلجل يلمح — من خلال رسالة ملك الروم الى الخليفة الناصر — بأن ترجمة الكتاب من نصيب الدوائر النصرانية التى لهـا دراية باللاتينية •

٣ —الأهم من ذلك كله ان النص الأول لابن خلـدون ورد فى مخطوط العبر بليدن(٥٩) وفى مخطوطه الآخر بالمتحف البريطانى(٦٠) كالآتى « وما نقله أيضا هروشيوش مؤرخ الروم فى كتابه الذى ترجمه للحكم المستنصر من بنى أمية قاضى النصارى وترجماتهم بقرطبة قاسم ابن أصبغ » • فلا توجد واو عطف سابقة لقاسم بن أصبغ ، وذلك بخلاف طبعة بولاق ، وبذا يصير لدينا مترجم واحد لا مترجمان •

فى تقديرنا أن رأى الباحث الهولندى يجعلنا على أول الطـريق لاستكشاف شخصية المترجم أو المترجمين لكتاب اوروسيوس ، رغما عن أنه يطرح هذا الرأى على نحو عام ، بحكم أن قضية هذا الكتاب قضية جانبية فى اطروحته •

بيد أن هذا الرأى لا يحسم المشكلة تماما ، وربما لم يكن الخطأ فى طبعة بولاق وانما فى مخطوطى ليدن والمتحف البريطانى ، ثم انه مع

---

(58) Op. cit. pp. 57-59.

(٥٩) ورقمه Cod. or. 1350.

(٦٠) ورقمه Add. 23. 271.

التسليم برأى الباحث ، فانه لا يحل مشكلة النص الآخر لابن خلدون ، كما انه ليس لدينا معلومات عن قاض نصرانى يدعى قاسم بن أصبغ •

ونعيد ترتيب الأوراق •

(5)

١ ــ نستبعد بداءة دورا لقاسم بن أصبغ فى ترجمة كتاب أوروسيوس لأنه لم يكن يعرف اللاتينية ، ونستبعد أيضا مراجعته الصياغة العربية فى سنة ٣٣٦ (أو ٣٣٧) لأنه وان لم يتغير ذهنه حتى ذلك الحين ، الا انه كان شيخا كبيرا تجاوز التسعين من عمره وكان قد ضعف نشاطه •

وبذا يسقط احتمال أن يكون قاسم بن أصبغ مترجما لكتاب أوروسيوس أو مراجعا له •

٢ ــ ولا مجال للتعسف والربط بين الرازى[٦١] وبين كتاب أوروسيوس عبر قاسم بن أصبغ ــ والذى أخذ عليه الرازى ــ فالرازى ولد فى سنة ٨٨٨/٢٧٤ ومات فى سنة ٩٥٥/٣٤٤ ، أى أنه بلغ أوج نشاطه قبل ورود كتاب أوروسيوس بسنوات طويلة ، أنشأ خلالها كتبه التاريخية ، هو اذا كان قد أخذ عن قاسم بن أصبغ ، فان كثيرا من أعلام عصره أخذوا عنه ، ثم ان الرازى لا يشير فى كتابه ولا فى النقول المأخوذة عنه الى أوروسيوس •

---

(٦١) راجع فى ترجمته ابن الفرضى : المصدر نفسه جـ ١ ص ٤٢ تر ١٣٧ وكذلك الحميدى جذوة المقتبس : ص ١٠٤ تر ١٧٥ • وقد ترجم تاريخ الرازى الى البرتغالية (ربما فى أوائل القرن الرابع عشر) والى الاسبانية فى سنة ١٣٤٤ على يدى خيل بريث واشتهر باسم La Cronica del Moro Rasis وضاع أصله العربى راجع :

Diccionario de historia de España, tomol p. 813.

واذا كان مؤنس يستند الى بعض أوجه التشابه بين جغرافية الرازى وبين جغرافية اوروسيوس ، من حيث تقسيم الأندلس (أو اسبانيا) الى اندلسيين أو (اسبانيتين) فان تقسيم الرازى من منطلق جغرافى ، فى حين أن تقسيم أوروسيوس من منطلق سياسى ، وجغرافية الأندلس لا تفوز من أوروسيوس (الترجمة الأندلسية) بأكثر من خمسة عشرة سطرا[٦٢] ، ولا تفوز من أوروسيوس (الأصل اللاتينى) بأكثر من سبع عشرة سطرا[٦٣] ، لكنها فى المقرى[٦٤] — وهو ينقل عن الرازى — ثلاثة وثلاثون سطرا • واذا كان الرازى — وهو مؤرخ — ينقل عن أوروسيوس — وهو مؤرخ مثله — فقد كان أحرى به أن يركز على التاريخ ، نلاحظ فى النقول عن الرازى — فى المقرى مثلا[٦٥] — عدم وجود هذا التأثير ، فأخبار الأندلس فى عهد اكتيبان (يقصد أكتافيانوس) لا نجد لها مقابلاً فى الترجمة الأندلسية لأوروسيوس •

واذا كان الرازى قد تأثر بأوروسيوس أو نقل عنه ، فمن الممكن أن يكون ذلك قد تم من خلال نصارى شبه الجزيرة المستعربين ، الذين كانوا على معرفة بكتاب أوروسيوس لشهرته ، وليس من خلال النقل من الترجمة العربية •

وعلى ذلك لا يكون الرازى — كما يذهب مؤنس — هو أول من استفاد من أوروسيوس وانما هو ابن جلجل — على نحو مبتسر — ويبدأ النقل عن أوروسيوس بوضوح فى مرحلة متأخرة نسبيا ، أبرز ممثليها البكرى (ت ٤٨٧/١٠٩٤) •

وبذا يسقط أيضا احتمال أن يكون الكتاب قد ترجم فى وقت مبكر •

---

(٦٢) ص ٦٧ — ٦٨ •
(٦٣) راجع نشرة تسانجمايستر الكتاب الأول الفقرة ٣ بنود ٦٩—٧٤.
(٦٤) اصدر نفسه ج ١ ص ١٢٩ — ١٣١ •
(٦٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٨١ •

٣ — كما نستبعد دورا لأحد أخر من المسلمين الأندلسيين فى ترجمة كتاب أوروسيوس وهو أمر نجد مشابها له فى المشرق ، اذ كان يضطلع بمهمة الترجمة عن اليونانية قوم نصارى من أصول سريانية أو رومية على نحو أساسى • والدور الذى نهـض به عريب بن سـعد (ت ٣٦٦ هـ) — وهو مسلم من أصل نصرانى — فى التقويم القرطبى يتحدد فى كتـابة النص العـربى ، فى حين نهض ربيـع بن زيـد Rec emundo الأسقف النصرانى بكتابة النص اللاتينى ، أو انه كتب نصا عربيا ترجم بعد ذلك الى اللاتينية ، ويتفوق هذا النص فى حجمه على النص العربى •

٤ — ولا يجوز أيضا أن يراجع عالم مسلم ثقافته تدور على نحو أساسى فى مجال العلوم الاسلامية نصا تاريخيا ذا طبع نصرانى ، من انشء حبر نصرانى ، أهداه الى حبر نصرانى آخر أكبر منه ، بهـدف نفى مسـئولية النصرانية عن زوال الامبراطورية الرومانية ، وغصـت هذه الترجمة بنقول عديدة ، لم تكن موجودة فى الكتاب أصلا ، وبعضها عن يوسابيوس القيسرانى والقديس جيروم ،صاحب الترجمة المشهورة للكتاب المقدس Vulgata وغيرهما من أحبار الكنيسة[٦٦] •

بل ان الصلة التى أضيفت الى كتاب أوروسيوس ، والخاصـة

---

(٦٦) من هذه النقول ما يرد بشأن خلق العالم ، وان الله تعالى خلقه فى ستة أيام ، وارتاح فى اليوم السابع (السبت) ص ٨٢ وهذه المعلومة تختلف عما يعتقده المسلمون وما يرد أيضا بشأن صلب المسيح عليه السلام، فلم يكن لعالم مسلم أن يتركه كما هو دون تعليقة من عنده ، بل ان هـذا الخبر يرتبط بأبيات شعرية ينسبها المترجم الى شاعر رومانى دعاه مركس ، هذه الأبيات بعضها مكسور ص ٤٢١ — ٤٢٢ وهو أمر غريب على قاسم ابن اصبغ أو غيره .

بملوك القوط ، يغلب أنها منقولة عن تواريخ ايسيدور[٦٧] ، الذى عرفه العرب بأشيزر (ت ٦٣٦ م) وايسيدور هذا كان مطرانا لاشبيلية وسجل قديسا فيما بعد ، وللأسف ضاعت هذه النقول من جملة ما ضـاع من النسخة الأندلسية ٠

٥ — اذن فالذى قام على ترجمة كتاب أوروسيوس ، لابد وأن يكون نصرانيا ، وهذا المترجم ليس بحاجة الى زميل له مسلم ، يعينـه فى الترجمة ، فمن النصارى من كان على دراية واسعة باللغة العربيـة وبراعة فيها ، استلفتت نظر ألبرو Alvaro القرطبى قبل نحو مائة عام ، وجعلته يتحسر على انصراف شباب جيله عن لغته اللاتينية الأم الى لغة أخرى أجنبية عنهم[٦٨] ٠

٦ — اذا نحن راجعنا تاريخ الأندلس فى عصر الخلافة ، نلاحظ أن البعوث والسفارات الأندلسية الى الممالك النصرانية خارج الأندلس ، بل وخارج شبه الجزيرة ، كان يقوم بها قوم من نصارى الأندلس — قوامس ورجال دين وقضاة — حصرا ، وليس لدينا فى مصادرنا اشارة الى أن قام بها مسلمون ٠

٧ — نفترض أنه كان فى الأندلس نسخ من الأصل اللاتينى لكتاب أوروسيوس لم يتنبه اليها أحد من المسلمين ، الا بعد وصول هدية ملك الروم ، فكانت حافزا قويا على الترجمة ولدى تولية الحكم المستنصر فى سنة ٣٥٠/٩٦١ أمر بعض النصارى بترجمة هذا الكتاب الى العربية٠

الكتاب ترجم اذن بعد سنة ٣٥٠ هـ ، ويبقى بعد ذلك أن نحـدد شخصية المترجم أو المترجمين ٠

---

(٦٧) Isidorus Hispalensis صار مطرانا لاشبيلية فى سنة ٦٠١ وترأس مجمع طليطلة الدينى فى سنة ٦٣٣ وله عدة كتب اهمها الأصـول Etymologiae وهو اشبه بموسوعة علمية كبيرة ، كما أن له كتبـا فى التاريخ حظيت بعناية المؤرخ مومسين وأهمها الحوليات Chronica راجـع : Diccionario tomo. II. 173

(68) Simonet : op cit pp. 369-371.

نرشح — وغيرنا — لترجمة كتاب التواريخ لأوروسيوس واحداً (أو اثنين) من أربعة من قضاة النصارى ورجال دينهم ، هم حفص بن البر ، الوليد بن خيزران (أو حيزون) ، أصبغ بن عبد الله بن نبيل ، عبيد الله بن قاسم .

أما أولهم وهو حفص بن البر ، فهو من عائلة غيطشة Witiza ملك القوط الذى أعان ولده العرب ضد رذريق Rudericus مغتصب عرش أبيهم ، فأجازوهم ضياعهم الفسيحة فى أنحاء الأندلس ، وعدتها ثلاثة آلاف ضيعة ، وولد غيطشة هؤلاء هم أرطباس Ardabasto ، المند Olemundo وقله Aquila (أو رمله Romulo)[٦٩] .

يهمنا فى هذا المقام وقله الذى داعبه الأمل فى استعادة ملك القوط فثار ضد العرب بمدينة طركونة Tarragona ، وحاصره المسلمون عدة سنوات الى أن استسلم على يدى عنبسة بن سحيم الكلبى والى الأندلس ١٠٣/٧٢١ — ١٠٧ — ٧٢٥ ، وانتقل الى طليطلة ، حيث استعرب ولده وأضحى حفيده البعيد حفص بن البر قاضيا للنصارى[٧٠] .

كان لحفص اسهامه الواضح فى ثقافة قومه من المستعربين ، فقد صنف كتبا فى العقائد ، استعان بها بعض النصارى فى محاجاتهم المسلمين ، ويتضح من اقتباسات الامام القرطبى ، فى ردوده على هؤلاء

---

(٦٩) انظر ما ورد بشأن هؤلاء فى اخبار مجموعة ص ٧ — ٩ وفى ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق ابراهيم الابيارى . القاهرة ، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٨٢ ص ٢٩ — ٣٢ .

(70) Simonet : op cit. pp. 170-171.

أنه كن لحفص كتابين ، هما المسائل والحروف ، ويضيف القرطبى[٧١] قائلا : « ان هذا القس الذى هو حفص ، هو من أكيسهم وأفصحهم •• اذ كان قد نشأ فى ذمة المسلمين وتعلم من علومهم ما فاق به النصارى »•

اشتهر حفص أيضا بأنه نظم مزامير داود على بحـــر الرجز ، والنسخة الوحيدة من هذه الأرجوزة ، محفوظة فى مكتبة أمبروســـيو بمدينة ميـــلانو[٧٢] • وفى المقدمة الشعرية للأرجوزة ، يوضح حفص السبب فى نظمه للمزامير ، بأن الترجمات السابقة النثرية أفســدت جمالها ، لذا جنح الى نظمها على بحر الرجز المشطور[٧٣] ، وهو بحر مناسب ، يشبه البحور الأعجمية (اللاتينية) وبخاصة بحر ينبق[٧٤] •

نعود الى موضوعنا ونتساءل ، ما دام حفص قد بـــرز فى علوم النصرانية ، وفى اللغة العربية ، وفى الوقت نفسه شغل منصب قاضى النصارى ، فهل هو القاضى الذى ترجم (أو شارك فى ترجمة) كتاب أوروسيوس •

نستبعد أن يكون حفص هو هذا القاضى ، فمن تحليل القيمة العددية للبيت رقم ١٢٨ من الأرجوزة ، يتضح أنه أنهى عمله فى سنة ٩٨٩[٧٥] من تاريخ الصفر وهو ما يعادل سنة ٩٥١ م (= ٣٣٩ — ٣٤٠ هـ) ، واذا كان قريبه المسلم المؤرخ ابن القوطية[٧٦] قد توفى فى سنة ٣٦٧/ ٩٧٧ فانه يكون معاصرا له •

---

(٧١) الاعلام • ص ٤٢٢ •

(٧٢) برقم Ix Teologia Cristiana No. 86.

(٧٣) مستفعلن مستفعلن مستفعلن •

(٧٤) يقصد البحر السداسى أو اليامبى lambus •

(75) Dunlop, D. M : Hafa b. Albar . the last of the Goths. J. R. A. S. 1954. pp. 147-148.

(٧٦) ووهـ حفيد بعيد لسارة ابنة المند بن غيطشة •

لكن ابن القوطية لدى ذكره حفصا لا يشير الى ترجمة قام بها لكتاب أوروسيوس وكان قمينا به هذه الاشارة ، لأنه مؤرخ وأوروسيوس أيضا مؤرخ .

أما وليد بن خيزران (أو حيزون) ويدعوه ابن خلدون بوليد بن مغيث ، فيوجد خبر عنه فى أحداث سنة ٣٥١/٩٦٢ ، لدى استقبال الحكم المستنصر لأردون بن أذفونش(٧٧) المنازع لابن عمه شانجه بن رذمير ملك ليون(٧٨) .

يقول ابن حيان(٧٩) ان أردون أتى « وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه ويبصرونه ، فيهم وليدبن خيزران (حيزون) قاضى النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرها » .

يستطرد ابن حيان(٨٠) بعد عدة سطور ، فيقول ان أردون بعد أن قبل — وصحبه — يد الخليفة « وصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضى النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك أردون ذلك اليوم » .

نشك فى أن يكون ابن خيزران هو المترجم لكتاب أوروسيوس ، فهو كما يبدو من السياق كان قاضيا للنصارى فى هذه السنة (٣٥١ هـ) وربما ولى القضاء قبل ولاية المستنصر ، ولا نشهد اسمه مرةأخرى فى الترجمة للبعوث ، ويترجح أن يكون الكتاب قد ترجم بعد سنوات من تولية الحكم وليس بعيد توليته ، وينفرد ابن خلدون ، فيدعو هذا

---

(٧٧) اردونيو الرابع Drdono IV ٩٥٨ — ٩٦٠ .

(٧٨) سانتشو الأول Sancho I ٩٥٦ — ٩٦٦ .

(٧٩) المقرى : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٩٠ .

(٨٠) ص ٣٩١ .

القاضى بوليد بن مغيث ، وهو خطأ لم يكن ليقع فيه اذا كان هو مترجم كتاب أوروسيوس •

أما أصبغ بن عبد الله بن نبيل وعبيد الله بن قاسم ، فتوجد اشارتان اليهما فى ابن حيان[٨١] ، ففى أحداث سنة ٣٦٠/٩٧١ وافت الحكم عدة سفارات من ملوك أسبانيا النصرانية وأمرائها ، ومنهم حلويرة Elvira ابنة رذمير ، حاضنة رذمير بن شانجه صاحب جليقية[٨٢] « وتوصل مع العجم من كبار نصارى قرطبة ، قاضيهم أصبغ بن نبيل ، وأسقفهم عيسى بن المنصور ، وقومسهم معاوية بن لب ، ومطران اشبيلية عبيد الله بن قاسم ، يترجمون عنهم ولهم ففهم الخليفة ما أدوه عن مرسليهم ، وأجمل الرد عليهم فانطلقوا لسبيلهم » •

هناك نص آخر[٨٣] أهم من هذا النص ، فقد عاود الحكم رسل حلويرة فى سنة ٣٦٣/٩٧٣ • يقول ابن حيان « وتوصل اليه بعدهم رسل حلويرة عمة الطاغية أمير جليقية وكافلته ، فتكلموا عن مرسلتهم بكلام بدا فيه بعض الجفاء ، ترجمه نصا عنهم أصبغ بن عبد الله بن نبيل ، قاضى النصارى بقرطبة المتولى ذلك عن الأعاجم ، أنكره الخليفة لوقته ، فازور للمترجم ونهره ، وأمر بتأخير الرسل عنه ، ونالهم ببعض التوبيخ ، وألزم أصبغ المترجم ذنبه ، وأمر باقصائه وعزله عن قضاء النصارى واهانته ، وتعريف الرسل بسوء ما أداه عنهم • فقعد لهم صاحب الخيل زياد بن أفلح فى بيته بدار الجند ، وعركهم وعرفهم أنه لولا احتجازهم بذمة الرسالة ، لعوجلوا بالعقوبة ، وخص المترجم أصبغ الملامة ، لاقدامه على ما أقدم عليه من سوء المخاطبة ، وخصه بأشد

---

(٨١) المقتبس . قطعة من عهد الحكم المستنصر . تحقيق عبد الرحمن الحجى . بيروت دار الثقافة ١٩٦٥ . ص ٦٤ .

(٨٢) راميرو الثالث Ramiro III ٩٦٦ — ٩٨٤ وكان صغير السن وتولت عمته الراهبة البيرا الوصاية عليه .

(٨٣) المصدر نفسه ص ١٤٦ — ١٤٧ .

الوعيد ، وعرفه بما كان قد هم به أمير المؤمنين فيه ، من غليظ العقاب والتشديد ، لتركه تأديب هؤلاء الأعلاج ، وتثقيف ما يلقونه اليـــه من كلامهم ، اذ كان المقلد ذلك منهم ومن أمثالهم من رسل الطواغيث لولا ما أعقبه من الصفح عنه ، ونفذ العهد الى أحمـــد بن عروس المورى المتفقه بالخروج الى جليقية ، رسولا الى العلجة حلويرة ، مع رسلها المنقلبين عن قرطبة وضم اليه عبيد الله بن قاسم المطران المترجم ، فخرجا مع الرسل الصادرين عنها ، فى عقب صفر المؤرخ ، وكان محمد ابن مطرف يومئذ بناحية الغرب ، فخوطب يؤمر بالدخول معهما •

نخرج من هذين النصين بالآتى :

١ ـــ كان أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضيا للنصارى فى الفترة من سنة ٣٦٠ الى سنة ٣٦٣ ، وربما يعود تولية القضـــاء الى تاريخ أقدم[٨٤] ، وزاول الترجمة ، عندما كان يصدر له تكليف بذلك ، وأن وردت الاشارة الى ذلك مرتين فقط •

٣ ـــ وأثبت براعة فى الترجمة وأمانة ، جعلته ينقل عن لســـان سفراء حلويرة ما لا يجوز نقله ، لدرجة كادت تودى بحياته وأفقدته منصبه •

٣ ـــ وعاصر أصبغ هذا نصرانى آخر هو عبيد الله بن قاسم الذى كان مطرانا لطليطلة فى سنة ٣٥١ هـ ، ثم نجده مطرانا لاشبيليه فى سنة ٣٦٠ كما كان مطرانا (دون تحديد لاسم مطرانيته) فى سنة ٣٦٣ ، وربما استمر مطرانا سنوات أخرى تالية •

---

(٨٤) لم يصلنا من مقتبس ابن حيان ـــ فيما يختص بالحكم المستنصر ـــ سو اخبار خمس سنوات ٣٦٠ ـــ ٣٦٥ وبعض هذه السنوات غير كاملة ، وربما ورد فيما ضاع من أوراق هذا المؤرخ الكبير ما يفيدنا فى التعرف على قضاة النصارى وقساوستهم فى عهد الخليفة المذكور .

٤ ــ وتوجد ثلاث اشارات الى دوره فى الترجمة للدولة ، آخرها انه صاحب رسل حلويرة فى سنة ٣٦٣ فى رحلتهم الى بلادهم موفدا من قبل الخليفة الحكم •

٥ ــ ولا يبعد أنه كان على احاطة بتراث مواطنه الاشبيلى القديس ايسيدور ذى الشهرة الفائقة فى أنحاء اسبانيا وأوربا ، وترجمت بعض كتبه الى العربية[٨٥] ، والجزء الأخير من كتاب أوروسيوس فيه نقول عنه على الأرجح ، وان لم تكن وصلتنا[٨٦] •

٦ ــ الاثنان معا ــ أصبغ بن نبيل وعبيد الله بن قاسم ــ يجيدان اللغتين العربية واللاتينية ، ويجيدان أيضا الترجمة من احداهما الى الأخرى ، ومقربان الى الخليفة وموضعا لثقته ، ويرتبط ذكر الواحد منهما بالآخر ، واذا كانا يتعاونان فى الترجمة فى المهام الرسمية ، فمن الممكن أن يتعاونا فى الترجمة فى مهام أخرى •

نرجح أن الترجمة من عمل أحد اثنين أصبغ بن عبد الله بن نبيل أو عبيد الله بن قاسم أو هما معا ، واذا كان نص ابن خلدون يشير الى شخص يدعى قاسم بن أصبغ فلاتوجد فى مصادرنا ــ عربية ولاتينية ــ قاض نصرانى بهذا الاسم ، ونرجح أن الأمر اختلط عليه ــ وهو يكتب بعد فترة طويلة ــ فأتى باسم يجمع بين الاثنين ويتطابق فى الوقت

---

(٨٥) هناك دلائل على أن كتاب الأصول لايسيدور ترجم الى العربية حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى van koningsveld : op sit p. 60.

(٨٦) بطبيعة الحال فان المترجم النصرانى ــ خصوصا اذا ما كان اشبيليا ــ يصير أعرف بكتب ايسيدور من غيره من المسلمين •

نفسه مع اسم اندلسى مسلم جليل ، تواصلت شهرته الى زمانه ، وكان خاضرا فى ذهنه وهو يكتب هذا النص •

ويحل ذلك مشكلة حرف الواو التى يذكرها الباحث الهولندى ، ففى حال حذفها يترجح المترجم فى أحدهما ، وفى حال اثباتها — ويغلب انها كذلك — يترجح أن الترجمة من عملهما معا ، وفى ذلك تفسير لنص ابن خلدون الآخر الذى يقرر أن الترجمة من عمل الاثنين •

أم عن كونهما مسلمين ، فان هذا النص تفصله عن النص الأول صفحات كثيرة ربما جعلت ابن خلدون ينسى ما ذكره أولا ، ثم انه ألى جانب ذلك غير دقيق فى تاريخه دقته فى مقدمته ، والاضافة الأساسية فى تاريخه هذا ما كتبه عن المغرب والبربر على نحو خاص ، وهو ينسب الى أوروسيوس أخبارا لا نجدها فى الترجمة الأندلسية ولا فى النص الأصلى •

(7)

ننتهى فى هذا البحث الى الآتى :

شهدت الأندلس نهضة فكرية عظيمة فى القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — بتوجيه من الخليفتين العظيمين عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر شارك فيها نصارى الأندلس المستعربون ، ونقلوا الى اللغة العربية ، التى أضحت على نحو أساسى لغتهم ، ما يهمهم من كتب دينية ، وما يهمهم ويهم المسلمين فى الوقت نفسه من كتب فى مجالات أخرى •

وكان كتاب باولوس أوروسيوس فى التاريخ ، أحد هذه الكتب التى ترجمت الى اللغة العربية حوالى سنة ٣٦٠ هـ ، واحتفظت الترجمة

العربية بطابع دينى واضح يتناسب مع روح التسامح السائدة فى ذلك الوقت ، بل ان المترجم النصرانى ، أضاف الى النص الأصلى نقولا من كتاب كنسيين قدامى ، ومن كتاب كنسيين عاصروا حكم القوط .

ويترجح أن هذه الترجمة من عمل القاضى أصبغ بن عبد الله بن نبيل أو المطران عبيد الله بن قاسم أو هما معا .

ولا نستطيع أن ننتقل من الترجيح الى القطع ، الا بتوصلنا الى نسخة أخرى عربية من هذا الكتاب .